نِهَايَةُ طَرِيقِ الْحَدَّادِيِّ

فِي الْأَسَانِيدِ الْقُرْآنِيَّةِ

رِسَالَةٌ مُعَضَّدَةٌ بِالْأَدِلَّةِ الْعِلْمِيَّةِ
فِي الْكَشْفِ عَنْ حَقِيقَةِ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ

السَّيِّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِالرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

إنّ من حكمة الله تعالى في أمر الأسانيد القرآنية أنه مهما طال زمن التدليس فيها؛ فإن يومًا لا محالة آتٍ يُكشف فيه هذا التدليس. فالأسانيد تنفي خبثها ولو بعد حين.

وقد شاء الله تعالى بقدرته كشف حقيقة "عليٍّ الحداديّ"، الذي كان وجوده في الأسانيد القرآنية مفسدةً وخطرًا على الأسانيد المستقيمة؛ لما في طريقه من علوٍّ مُتوهّم يتسبب مع مرور الأيام في طمس الأسانيد المستقيمة على وجه الأرض شرقًا وغربًا، عاجلًا أو آجلًا، ولا سيّما في ظلّ تلك الرغبة الجارفة لدى طلاب القرآن الكريم في طلب الأسانيد العالية دون إدراكٍ لصحيحها من سقيمها.

وقد اعتمد بحثي في أمر شخصية "عليٍّ الحداديّ"، فيما سبق من مؤلَّفاتي، على الأوصاف التي وصفه بها تلميذه الوحيد "عبدالله عبدالعظيم"، بقوله:

"قرأت على الشيخ الكامل والعمدة الفاضل، الشيخ علي الحدادي الأزهري الأشعري المالكي، قد بلغ في دهره غاية القدر والفخر، الشاذلي خرقة، وقد كان هذا الإمام ورعًا تقيًّا سيما كان أزهريًّا شاذليًّا، ختمةً للطيبة، وأخرى للشاطبية والدرة، ساد بهما الدهر، وازداد مسرّة"[1].

وكانت نتيجة بحثي عن هذا الشخص الموصوف بالشيخ الكامل والعمدة الفاضل، الذي بلغ في دهره غاية القدر والفخر، وأنه كان ورعًا تقيًّا سيّما كان أزهريًّا؛ أنه إما أن يكون شخصًا مُدَلَّسًا في اسمه، أو لا وجود له أصلًا.

١- انظر صورة إجازته في كتاب (آفة علو الأسانيد): ٢٤٢.

وظلّ الأمر عندي كذلك إلى أن أذن الله تعالى بكشف الحقائق، وحَسْم أمر هذه الشخصية التي وُضعت في أسانيد كتابه العزيز وَضْعًا. فقد تبين وجودُ شخصٍ بهذا الاسم لا علاقة له من قريب أو بعيد بالأوصاف التي وصفه بها تلميذه "عبدالله عبدالعظيم"، بل وكانت هناك مفاجآت أخرى، وسنوضّح ذلك في الصفحات التالية.

فقد أخرج الشيخ "مصطفى الوراقي" رسالته المسماة: "الشيخ علي الحدادي إضاءة على الطريق"، وقال في بدايتها:

"فقد وقفت -بفضل الله تعالى- على نصٍّ نادرٍ لوَقْف نسخة من المقدمة الجزرية، جعلها الواقف تحت يد الشيخ: علي الحدادي، والذي يُحتمل احتمالًا كبيرًا -من وجهة نظري- أن يكون هو الشيخ المقرئ: علي الحدادي المذكور بالإجازات، تلميذ العلامة المقرئ: إبراهيم العبيدي الحسني، وشيخ المقرئ عبدالله بن محمد عبدالعظيم الدسوقي".

ثم قال:

"وهاك نص الواقف: (وَقَفَ وأحبَسَ وسبَّل وتصدَّق: أحمد الفُوِّي الشبيني -تابع الأستاذ الحفني والسيد البدوي، عمت بركتهما الوجود، آمين- هذه النسخة المسماة بمتن الجزرية في تجويد القرآن الشريف، على طلبة العلم بالأزهر وغيره، حفظًا ومطالعةً وكتابةً، وقفًا صحيحًا شرعيًّا، لا يباع ولا يوهب ولا يرهن، فمن بدّله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدِّلونه، وجعل مقرَّها تحت الشيخ علي الحدادي، بمحلت [= محلة] مالك بالغربية، التي بجوار سدوق [= دسوق]، على ساكنها سحايب الرحمة والرضوان)"اهـ.

ثم قال:

"أن الأوصاف والقرائن المذكورة في هذا النص عن الشيخ المسمى (علي الحدادي) إذا قُورِنَت بما عرفناه عن (المقرئ علي الحداديّ) المذكور بالإجازات وضُمَّت إليه؛ فإنه يغلب على الظن أنهما شخص واحد، وأن الحداديّ المذكور بالإجازات هو نفسه المذكور في هذا النص".

إلى أن قال:

"وبذلك يتأكد أن ظاهر حال عبدالله عبدالعظيم الصدق والسلامة من الكذب، ومن اختلاق شخصية الحداديّ، كما يظهر أيضًا صدقه في مقروءاته على الحداديّ، وصدقه فيما وصف به شيخه الحداديّ من أوصاف التقدير والتعديل التي تنفي عنه الجهالة، وتُثبت له العدالة، ومن ذلك: (الأمين على كلام الله تعالى) (ورعًا تقيًّا).

وعليه فلا مجال أيضًا للطعن في عدالة الحدادي، وفرض احتمال ادعائه القراءة على العبيدي مباشرةً مع مخالفة ذلك للواقع، فهذه كلها افتراضات مبنية على اعتقاد عدم صحة هذا السند ابتداءً".

إلى أن قال:

"وأنبه أيضًا على أن مسألة وجود مقرئ اسمه (علي الحداديّ) أخذ عن العبيدي، وأخذ عنه عبدالله عبدالعظيم كما ورد في إجازات الدسوقي، وما تفرع منها؛ أمر مفروغ منه، ولا مجال للشك فيه، وليس هذا البحث لتثبيت حاله وتقرير ما هو مقرر، وإنما ليزداد الذين آمنوا إيمانًا واطمئنانًا، وينتبه من يريد الحق بتجرد إلى خطأ من نفى وجوده أو طعن فيه وفي تلميذه".

* * *

كان ما سبق هو أهم ما جاء في رسالة الشيخ "مصطفى الوراقي".

وهنا أقول:

كانت هذه الرسالةُ فتحًا من الله تعالى في كشف الحقيقة الغائبة عن شخصية "عليٍّ الحداديّ"، وحسمًا لأمره، بقدرته سبحانه وتعالى.

وعندما وصلتْ إليَّ هذه الرسالة، اتجهت إلى دراسة الأمر من خلال مسارين، سيتضحان من خلال ما يلي.

المسار الأول

الاستيثاق من المخطوطة وما جاء فيها

في المسار الأول، اتجهتُ إلى استخراج المخطوطة التي استند إليها الشيخ "مصطفى الوراقي" في رسالته؛ للنظر فيها كاملة، والبحث عن أمور أخرى قد تخصّ "الحداديّ"، ولا سيّما تلك الأوصاف التي وصفه بها تلميذه، والتي جاء ذكرها في آنف كلامنا.

فقد تم استخراجها مصحوبةً بمخطوطتين أُخريين في متن الجزرية نفسه، واحدة قبلها، وأخرى بعدها، وكان عدد صفحاتها ثماني صفحات. وهي في متن الجزرية فقط من غير شرح له. كما أنه لا يوجد بها شيء يتعلق بـ"الحداديّ" إلا ما جاء في الصفحة الأولى منها.

وقد استوقفني في هذا النص أمران:

- **الأمر الأول:**

قول الواقف لتلك المخطوطة: "وقفًا صحيحًا شرعيًّا، لا يُباع ولا يوهب ولا يرهن، فمن بدّله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه".

فالسؤال الذي يطرح نفسه:

كيف تأتَّى لهذا الواقف أن يكتب هذا الكلام على شيء جعله تحت شخص يتصف بالأمانة، وأنه كان ورعًا تقيًّا، وإمامًا أزهريًّا، وقد بلغ في دهره غاية القدر والفخر؟!

وهل يُمكن لمن كان متصفًا بذلك الوصف أن يقبل مثل ذلك؟!

وفوق هذا أن الموقوف ليس بشيء ثمين، فما هي إلا ثماني صفحات لمتن المقدمة الجزرية، لا مشروحة، ولا مشكولة، ولا منسّقة، وبخطٍّ غير جيد. فالمخطوطتان الواقعتان قبلها وبعدها مشكولتان، وبخطٍّ وتنسيق جَيّدَيْن.

هذا هو الأمر الأول الذي استوقفني أمام ذلك النص المدوّن في هذه المخطوطة.

■ الأمر الثاني:

أما الأمر الثاني الذي استوقفني في كلام الواقف لتلك المخطوطة، فهو قوله: "وجعل مقرّها تحت الشيخ علي الحدادي بمحلت [= محلة] مالك بالغربية التي بجوار سدوق [= دسوق]".

وهنا سؤال يطرح نفسه أيضًا وهو:

كيف يكون ذلك "الحداديّ" المتصف بتلك الأوصاف التي لم يتصف بها كبار أئمة الإقراء في عصره، من هذه القرية الصغيرة (محلة مالك)، ولم يظهر له فيها أيُّ ذكرٍ أو شهرةٍ أو تلاميذ أو أثرٍ يُعرف به من بعده؟!

إن لم يكن له أعقاب، فأين أثره العلميّ فيها؟!

فهذا هو الشيخ "سيد أحمد أبو حطب"، المتوفى في: ١٩٣٦/١٢/٢٤م، الموافق ١٣٥٥/١٠/١٠هـ، عن ٩٢ سنة[١]، الذي لم يتصف بمعشار ما اتّصف به "الحدادي"، وعلى الرغم من هذا فقد كان له تاريخ مُشرقٌ ومشرّفٌ في خدمة القرآن الكريم يتحاكى به أهل هذه القرية (محلة مالك) وغيرها من القرى والمدن إلى يوم الناس هذا، وقد كان من أهل قرية (محلة مالك) الأُصلاء[٢].

فهذان الأمران هما اللذان دفعاني للدخول في المسار الثاني الآتي ذكره.

١- انظر كتاب: (آفة علو الأسانيد): ٩٨-١٠٠. وتُنظر صورة شهادة وفاته في الكتاب نفسه: ٢٩١.

٢- انظر كتاب: (رد الحجج الباطلة والمضللة): ٦٨، ٧٧-٨٨.

المسار الثاني

البحث عن "حداديّ" محلة مالك في السجلات الرسمية

قبل أن نتطرق إلى الحديث عما توصّلنا إليه من معلومات بشأن "حداديّ" محلة مالك، نُشير إلى أن بحثنا فيما سبق من كتب ورسائل عن "عليٍّ الحدادي" كان مقتصرًا على مَن تتوفر فيه الأوصاف التي وصفه بها تلميذه الوحيد "عبدالله عبدالعظيم"، حيث كانت تلك النعوت والأوصاف مرشدنا وموجهنا في البحث عنه. وكنّا نظن أن المتصف بتلك الأوصاف لا بد من أَنْ يكون علمًا من أعلام عصره لا محالة، وأنْ يكون من اليسير الوصول إليه والعثور عليه، ولا سيما وهو يحمل القراءات من جميع طرقها، وإليه ترجع أعلى أسانيد الأرض في القرآن الكريم.

كانت تلك الأوصاف -كما ذكرنا- موضوعةً نُصب أعيننا، ولذا كانت الأولوية في البحث عنه في تلك الجهات التي جمعت الكبار من أساتذة الإقراء بمصر، ولا سيما منطقة الأزهر وما جاورها بالقاهرة، حيث قال تلميذه "عبدالله عبدالعظيم": "سيّما كان أزهريًّا". ومن المعروف أن أكثر مشايخ الأزهر وطلابه قديمًا كانوا من المجاورين للجامع الأزهر، والمشتهرون منهم من السهولة الوصول إليهم.

كما نلفت إلى أننا في غالب بحثنا عنه اعتمدنا على مصلحة الأحوال المدنية، اعتمادًا على تواريخ تلميذه "عبدالله عبدالعظيم". والبحثُ في مصلحة الأحوال المدنية محصور في مدة محددة، على ما سيأتي بيانه.

وقد ظهر لي أثناء بحثي عن "الحداديّ" أن أعدادًا كبيرة من أساتذة الإقراء بمصر، كانت وفياتهم بالمدن المصرية الكبيرة، كالقاهرة، والإسكندرية، وطنطا، ودسوق، وأسيوط. ومن ذلك على سبيل المثال:

- الشيخ "حسن خلف الحسيني"، فأصله من قرية العدوة بأسيوط، وتوفي بالدرب الأحمر بمنطقة الأزهر.
- الشيخ "إبراهيم أحمد سلام"، أستاذ مدرسة الإقراء بطنطا، الذي تتلمذ على يديه كبار القراء بمصر، ومنهم الشيوخ: "الحصري"، و"البنا"، و"مصطفى إسماعيل"، و"محمود عبدالحكم"، وغيرهم. فأصل هذا الشيخ من قرية المطيعة بأسيوط، وتوفي بطنطا.
- الشيخ "عبدالعزيز كحيل"، فأصله من أبي تيج بأسيوط، وتوفي بالإسكندرية، وكذلك ابنه "محمد" الذي كان مقرئًا، وتوفي عن ٦٠ سنة أيضًا بالإسكندرية بشارع أمير البحر. وغير هذا كثير.

وقد كان من المتوقّع بالنسبة لي أن تكون تواريخ "الحداديّ" المتصف بتلك الأوصاف في واحدةٍ من هذه المدن، أو أن تكون في قريته التي نُسِبَ إليها، وهي قرية (الحدادي) التابعة لمركز سيدي سالم بمحافظة كفر الشيخ، وهي تبعد عن مدينة دسوق حوالي ٣٣ كم.

فهذه هي الأماكن والجهات التي تركّز بحثي فيها عن "الحداديّ"، ولذلك كانت نتيجة بحثي التي توصلت إليها هي التي سبق ذكرها في بداية كلامي، والتي تلخّصت في أنه إما أن يكون شخصًا مُدَلَّسًا في اسمه، أو لا وجود له أصلًا. والله المستعان.

* * *

بداية كشف الحقيقة

حينما كشفت المخطوطة التي أخرجها الشيخ "الوراقي" أن "عليًّا الحداديّ" من أهالي قرية محلة مالك؛ أصبح الأمر ميسورًا في البحث عنه فيها، إذ إنها قرية صغيرة، والعائلات فيها محدودة ومعروفة. وبعد البحث عن وجودٍ له في هذه القرية بأي شكلٍ من الأشكال؛ لم يظهر له بها أيُّ أثرٍ على الإطلاق.

لذا لم يبقَ أمامي بعد هذه الخطوة إلا البحث في الجهات الرسمية. ولا يكون البحث عنه عندئذٍ إلا في دار المحفوظات العمومية، نظرًا لما جدّ من تواريخ له.

* * *

معلومة هامة:

تواريخ مواليد ووفيات المصريين ترجع إلى جهتين:

- الجهة الأولى: دار المحفوظات العمومية التابعة لمصلحة الضرائب العقارية التي تتبع وزارة المالية.
- الجهة الثانية: مصلحة الأحوال المدنية التابعة لوزارة الداخلية.

ومن الجدير بالإشارة هنا أنّ بداية تسجيل المواليد والوفيات بمصر كان في حدود سنة ١٨٢٥م – ١٢٤٠هـ، وكان هذا في بعض المحافظات وليس في جميعها. وقد ظل أمر هذا التسجيل تابعًا لدار المحفوظات العمومية إلى نهاية عام ١٩٦١م – ١٣٨١هـ، ثم انتقل الأمر إلى مصلحة الأحوال المدنية منذ ذلك التاريخ. ولم يُسجَّل بقاعدة البيانات الخاصة بمصلحة الأحوال المدنية من تلك المدة إلا من سنة ١٩٠٠م – ١٣١٧هـ. لذا فعلى من أراد البحث عن مولد أو وفاة قبل هذا التاريخ، فلا بد من رجوعه إلى دار المحفوظات العمومية.

وقد كان في بداية الحفظ تُرفع سجلات المواليد والوفيات من الوحدات الصحية بالمدن والقرى والكفور والنجوع بعد امتلائها إلى دار المحفوظات العمومية، كما تُرفع بيانات العقارات

والحيازات الزراعية، وهذا هو السبب الآن في تبعية دار المحفوظات العمومية لمصلحة الضرائب العقارية.

والحقُّ أن البحث في دار المحفوظات شديد الصعوبة والمشقة؛ لأنه يكون يدويًّا، والاطلاع يكون على السجلات الأصلية المخزونة منذ عشرات السنين، وليس من خلال الحواسيب أو التصوير الضوئي. وقد أنفقتُ سنوات من عمري بحثًا عن قُرّاء مصر بين هذه السجلات التي تحمل في طياتها الأمراض، ونحمد الله على السلامة.

* * *

أعود إلى "الحداديّ" وأقول:

بناءً على ما سبق، فإن البحث عن "عليٍّ الحداديّ" بين وفيات قرية محلة مالك يجب أن يكون حينئذٍ في دار المحفوظات، ولم يسبق لي البحث عنه فيها من قبل، لسببين؛ **الأول:** أن بحثي في محلة مالك، فيما سبق لي من كتب ورسائل، كان مقتصرًا على الشيخ "أبي حطب"، وهذا لا يحتاج إلى دار المحفوظات نظرًا إلى تاريخ وفاته المدوّن. **الثاني:** عدم توقّع أن يكون ذلك "الحداديّ" المتصف بتلك الصفات من أهالي محلة مالك؛ إذ لم يظهر له فيها أي أثر، صغيرًا أو كبيرًا.

وهنا تجلت قدرة الله تعالى:

فبالرجوع إلى دار المحفوظات يظهر "عليٌّ الحداديّ" في الصفحة الثامنة من السجل رقم: ١٠٩٠١/٧٧/١١، بالبيانات الآتية:

أولًا– الاسم مكوّن من اسمه الأول واللقب فحسب، "علي الحداديّ"، دون ذكر أب ولا أم.

ثانيًا– تاريخ الوفاة مسجل وفقًا للتاريخ الهجري في (١٢٦٩/٣/١٥هـ). وكان هو المعمول به في تلك الفترة.

ثالثًا- السن عند الوفاة كان (خمسة وعشرين عامًا).

رابعًا- كانت الوفاة في قرية محلة مالك التابعة لمحافظة الغربية في ذلك الوقت.

خامسًا- أن معاينة الوفاة وتسجيلها كان بمعرفة مكتب صحة محلة مالك.

وإليكم صورة شهادة وفاته.


مصلحة الضرائب العقارية

(نموذج رقم ٢٢)

مأمورية ________ **الثمن ١٠ قروش** محرر بمعرفة ________

صورة قيد وفاة

مجموعة رقم ١

للواقعات المقيدة قبل أول يناير ١٩٦٢

رقم ٥٩٦٦٨٥

بيانات المتوفى

اسم المتوفى ولقبه ________

اسم الوالد ولقبه ________

اسم الأم ولقبها ________

محل الوفاة ________ قرية ________ مركز/قسم ________ محافظة ________

تاريخ الوفاة كتابة ________ الساعة ________ التاريخ ________ الشهر ________ السنة ________ نوع المتوفى ________

سن المتوفى ________ الحالة الاجتماعية ________ المهنة ________

الجنسية ________ الديانة ________

ملاحظات ________

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٨٤٤٤ س ١٩٩٩ - ٢٩٠٠٠

المتوفى مقيد بدفتر واقعات الوفاة بمكتب صحة ________ محافظة ________

بتاريخ ________ تحت رقم ________ جزء ________ صفحة ________

تحريرا في ٢ / ١ / ٢٠١٩

اسم المحرر بالكامل ________ اسم المراجع أو رئيس القسم ________

وظيفته ________ وظيفته ________

توقيعه ________ توقيعه ________

يعتمد، رئيس المأمورية

صورة شهادة وفاة "عليٍّ الحدادي" (ت في: ١٥ ربيع الأول عام ١٢٦٩هـ)، المستخرجة من دار المحفوظات العمومية المصرية، من غير ذكرٍ للأب والأم

بقي أن أُضيف معلومةً مذكورةً في سجل وفاته من غير ذكرٍ لها في شهادة وفاته، وهي أن سبب الوفاة كان "بمرض الإسهال"، وهاتان الكلمتان كُتبتا نصًّا هكذا.

فهذه هي بيانات "عليٍّ الحدادي" كما هي في سجلات الدولة، دون تغيير حرف فيها أو تبديل، وأتحمل مسؤولية ذلك أمام الحي القيوم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، سبحانه وتعالى.

ما يؤخذ من هذه البيانات

أولًا- لم يُذكر لـ"عليٍّ الحداديّ" أب ولا أم، وهذا أمر نادر، ولا يكون إلا في حالات معينة. إذ من الوارد عدم ذكر اسم الأم، وهذا قليل جدًّا، أما اسم الأب فذكره واجب وضروريّ. وفي كتاب (آفة علوّ الأسانيد: ٢٧١-٢٩١) خمس عشرة صورة من صور شهادات الوفاة لمن شاء الرجوع إليها.

أما عن السبب وراء نسبته "الحداديّ"، فهو أمرٌ لم أتوصل إليه، وعلمه عند الله.

وقرية "الحداديّ" تبعد عن قرية محلة مالك قرابة ٣٠ كم، كما تبعد عن مدينة دسوق حوالي ٢٦ كم. كما تبعد محلة مالك عن دسوق حوالي ٤ كم.

وهنا ملاحظة يجب الوقوف عندها؛ فوجود اسم "عليٍّ الحداديّ" بهذه الكيفية فقط (الاسم واللقب فحسب) في عدة مصادر، يؤكد أنه هو الشخص الموجود في دار المحفوظات الذي تم استخراج شهادة وفاته. وهذه المصادر التي اتّفقت على إيراد اسمه بهذه الكيفية هي:

١- إجازة "عبدالله عبدالعظيم" لـ"محمد عراقي الشمشيري".

٢- إجازة "عبدالله عبدالعظيم" لـ"علي عاشور"[1].

٣- المخطوطة المستخرجة من المكتبة الأزهرية، التي استند إليها الشيخ "مصطفى الوراقي" في رسالته.

٤- شهادة الوفاة المستخرجة من دار المحفوظات العمومية المصرية، والله المستعان.

ثانيًا- أن وفاة "عليٍّ الحداديّ" كانت في قرية محلة مالك، وهذا يؤكد صحة كلٍّ من: المخطوطة المستخرجة من المكتبة الأزهرية، وشهادة الوفاة المستخرجة من دار المحفوظات العمومية.

١- انظر صورة الإجازتين في كتاب: (آفة علو الأسانيد: ٢٤١-٢٤٦).

حيث جاء في الأولى: "علي الحدادي بمحلة مالك بالغربية"، وجاء في الثانية: "علي الحدادي.. محلة مالك.. الغربية".

وهذا يؤكد أن الشخص الذي فيهما واحد، والله أعلم.

ثالثًا- أن تاريخ وفاة "عليٍّ الحداديّ" كان في عام ١٢٦٩هـ، وهذا هو نفس التاريخ المنقوش على خاتم "عبدالله عبدالعظيم" الذي ختم به على إجازتيه للشمشيري و"علي عاشور"، المتقدم ذكرهما منذ قليل.

فهل اتفاق تاريخ الوفاة المدوّن بشهادة الوفاة الرسمية مع التاريخ المدوّن بخاتم "عبدالله عبدالعظيم" كان مجرد مصادفة؟ أم كان للأمر مغزى آخر عنده؟! الله أعلم.

رابعًا- أن سنّ "عليٍّ الحداديّ" عند وفاته كان ٢٥ عامًا، وهذا يعني أن مولده كان في عام ١٢٤٤هـ.

فإن قيل: إن هذه السن كانت خاضعة أحيانًا للتقدير عند الوفاة، والتقدير واردٌ فيه الزيادة والنقصان.

فأقول: الخلل في تقدير السن غالبًا ما يكون بالزيادة لا بالنقصان. بمعنى أن يكون العمر الحقيقي للمتوفى ٧٠ سنة مثلًا، فيكون تقديره ٧٥ عامًا أو فوق ذلك، وقد وقفت على كثير من ذلك في أبحاثي السابقة. ولا يكون ذلك غالبًا إلا مع أصحاب الأعمار الكبيرة. ومن أمثلة ذلك؛ الشيوخ: "أبو حطب"، و"علي عاشور"، و"الفاضلي"، وغيرهم ممن وقفت على مواليدهم الحقيقية بعد وقوفي على وفياتهم.

أما بالنسبة لـ"عليٍّ الحدادي" فقد مات شابًّا، لا يخفى سنه. هذا إلى جانب أن سبب وفاته المتقدم ذكره يستلزم الكشف الطبي الدقيق، وضبط التواريخ ممن قاموا بالكشف عليه.

ولا يُقال بعدم اهتمامهم في ذلك الوقت، فإذا كانوا يهتمون بحال الأطفال عند ولادتهم، أفلا يهتمون بمثل هذه الحالة عند الوفاة؟

- فهذا الشيخ "أبو حطب" يُكتب له بالنص عند مولده: "سيد أحمد ولد يوسف أبو حطب، كامل الأعضاء".
- وهذه فاطمة إحدى بنات الشيخ "عبدالله عبدالعظيم"، توفيت بعد ولادتها بواحد وعشرين يومًا، يُكتب لها: "سبب الوفاة ضعف خلقي".
- حتى السقط كانوا يهتمون به، كما جاء عند أحد أبناء الشيخ "محمد عبدالعظيم": "سقط طبيّ بن محمد عبدالعظيم".

وعلى ذلك فإن المتيقّن في تحديد سنِّ "عليٍّ الحداديّ" عند وفاته أَنْ لا شك فيه ولا خلل، فإن كان فيه خلل فلن يتجاوز شهورًا، تقديمًا أو تأخيرًا، والله أعلم.

* * *

وهنا تأتي كلمة الفصل:

لو افترضنا أن "الحداديّ" بعد نشأته بمحلة مالك، وتلقِّيه العلوم الأولية بها وبمدينة دسوق المجاورة لها، ارتحل إلى القاهرة لتلقي العلوم بالأزهر، وهو في الثامنة عشرة من عمره؛ فإن رحيله إلى الأزهر يكون سنة ١٢٦٢هـ تقريبًا، وهذا بالنظر إلى تواريخه.

والسؤال:

هل هذا التاريخ يمكّنه من مقابلة الشيخ "إبراهيم العبيدي" والأخذ عنه؟

أقول: مع أن "العبيدي" لم تظهر له تواريخ، لا بمولد ولا بوفاة، فبقاؤه إلى عام ١٢٦٢هـ، غير مقبول نقلًا وعقلًا.

أما من جهة النقل: فجميع التحقيقات التي ظهرت في وفاته لا تُخرجه عن أن تكون وفاته في حدود سنة ١٢٤١هـ، أو بعدها بقليل، وهذا على أعلى تقدير، وهو ما ذكرتُهُ في كتاب (الحلقات المضيئات: ١/٢٢٥) في ترجمة "العبيدي"، اعتمادًا على ما قاله الشيخ "عبدالرحمن حسن" حفيد الشيخ "محمد بن عبدالوهاب"، في رحلته إلى مصر، حيث قال:

"وممن وجدت بمصر الشيخ إبراهيم العبيدي المقرئ، شيخ مصر في القراءات، يقرأ العشر، وقرأت عليه أول القرآن، وله روايات وأسانيد متصلة إلى القراء السبعة، وغيرهم".

وكانت مدة إقامة الشيخ "عبدالرحمن" في مصر من سنة ١٢٣٣هـ إلى سنة ١٢٤١هـ.

وقد ذكرت أن وفاته بعد ١٢٤١هـ، أخْذًا للمدة بأكملها. وقد ذكر غيري أن وفاته بعد ١٢٣٣هـ، أخْذًا ببداية المدة. كما ذكر غيرنا أن وفاته بعد ١٣٣٧هـ. ولم أقف على من زاد على ذلك.

أما من جهة العقل: فلو كان "العبيدي" تأخر إلى عام ١٢٦٢هـ أو حوله لكان الأولى بالأخذ عنه مَن جاوره من شيوخ الإقراء بالأزهر، وليس هذا الشاب القادم من محلة مالك.

وممن كان بالأزهر في ذلك التاريخ من الشيوخ: الشيخ "التهامي" الذي صدرت عنه إجازة في القراءات السبع سنة ١٢٥٧هـ، وهو تلميذ "سلمونة".

وكذلك الشيخ "المتولي" تلميذ "التهامي"، وكان يبلغ من العمر ٣٦ عامًا في ذلك التاريخ، وليس ١٨ عامًا كـ"الحداديّ".

وكذلك الشيخ "الجريسي الكبير" تلميذ "المتولي"، وكان يبلغ من العمر ٣٤ عامًا في ذلك التاريخ، وغيرهم كثير مثل: "حسن الحسيني"، و"محمد مكي نصر"، و"عبدالرحمن الشعار"، و"حسن الكتبي"، و"خليفة فتح الباب". وكانت إقامة جميع هؤلاء وتواريخهم بمنطقة الأزهر، بحسب ما وقفت عليه أثناء البحث عنهم.

ما يؤخذ من ذلك:

يؤخذ من التفصيل المتقدم أن "عليًّا الحداديّ" لم يُدرك "العبيديّ" أصلًا، فضلًا عن أن ينقل عنه القراءات من جميع طرقها (شاطبية، ودرة، وطيبة).

وبناءً على ذلك، فإن طريق "الحداديّ" في الأسانيد القرآنية منقطع، والله المستعان.

علاقة آل عبدالعظيم بمحلة مالك:

أتناول باختصارٍ في السطور التالية علاقة آل عبدالعظيم بقرية محلة مالك التي ظهر فيها "عليٌّ الحداديّ"، فأقول:

في فترة بحثي عن الشيخ "عبدالله عبدالعظيم" تبين لي أنّ أصل هذه العائلة من مدينة دسوق، ولها فرع في قرية محلة مالك. وكما أسلفت، فهي تبعد عن دسوق أقل من ٤ كم تقريبًا.

وهذا الفرع كان من أصل آل عبدالعظيم من جهة الأب والأم معًا، فالشيخ "محمد عبدالعظيم" كان من زوجاته واحدة من أبناء عمومته في محلة مالك، وهي السيدة "فاطمة إبراهيم عبدالعظيم"، المتوفاة في: ١٩٠١/٢/٢٤م - ١٣١٨/١١/٥هـ، شياخة محلة مالك، مكتب صحة دسوق أول، وتوفيت عن ٤٢ عامًا.

وقد أنجبت هذه السيدة ثلاثة من الذكور فيما وقفت عليه، جميعهم من أبناء محلة مالك، ووفاتهم بها، وهم:

الأول- "عبدالله محمد عبدالعظيم"، وفاته في: ١٩٢١/٤/٢٧م - ١٣٣٩/٨/١٨هـ، شياخة محلة مالك، مكتب صحة دسوق أول، وتوفي عن ٣٦ سنة. وهذا غير "عبدالله" الذي في الأسانيد.

الثاني- "نور محمد عبدالعظيم"، وفاته في: ١٩٣٧/١٢/٢١م - ١٣٥٦/١٠/١٨هـ، شياخة محلة مالك، مكتب صحة دسوق أول، توفي عن ٦٧ سنة.

الثالث- "عبدالسلام محمد عبدالعظيم"، وفاته في: ١٩٦٣/١/٩م-١٣٨٢/٨/١٣هـ، شياخة محلة مالك، مكتب صحة دسوق أول، وتوفي عن ٧٦ سنة.

والشيخ "محمد" والد الثلاثة توفي فيما بين: ١٣٠٨هـ و١٣١٠هـ، ولم أقف على تحديد سِنِّه، ولكنّ له زوجة أخرى توفيت في: ١٨٨٨/٥/٦م - ١٣٠٥/٨/٢٤هـ، عن ٦٥ سنة.

والشيخ "محمد" يُعد من كبار شيوخ الإقراء المتقدمين من آل عبدالعظيم، وكذلك الشيخ "إبراهيم" والد زوجته فاطمة المتقدم ذكرها، وكذلك الشيخ "أحمد" جد الشيخ "عبدالله محمد أحمد عبدالعظيم"، وكذلك الشيخ "علي عبدالعظيم" المتوفى في: ١٨٩٣/٦/٢٧م – ١٣١٠/١٢/١٢هـ، وتوفي عن ٨٠ سنة[1].

واسم "عبدالعظيم" قديم لهذه العائلة، فمنهم السيدة "فاطمة عبدالعظيم" المتوفاة في شهر رمضان ١٢٩٩هـ – ١٨٨٢م، وتوفيت عن ٩٠ سنة في دسوق.

وفرع آل عبدالعظيم بقرية محلة مالك موجودون حتى الآن من أحفاد الأخوين نور وعبدالسلام محمد عبدالعظيم، ولم يظهر لأخيهما "عبدالله" عقب، حيث جاء في سجل وفاته أنه "أعزب".

وقد سافرت إلى محلة مالك أكثر من مرة، وتقابلت في إحداها مع الأستاذ "محمد محمد عبدالسلام محمد عبدالعظيم"، وأخيه الشيخ "عبدالسلام"، واصطحباني إلى والدهما الشيخ "محمد" بمنزله، وهو من مواليد محلة مالك في: ١٩٣٧/١/١٢م – ١٣٥٥/١٠/٢٩هـ، وقد أفادني الشيخ "محمد" ببعض المعلومات عن الشيخ "عبدالله عبدالعظيم".

كما اصطحباني إلى الشيخ المعمَّر "حمزة عبدالمنعم علي محمد غانم"، الذي يعدونه مؤرخًا لمحلة مالك، بل لدسوق بأكملها. وقد أفادني هو أيضًا ببعض الجوانب عن الشيخ "عبدالله عبدالعظيم".

فهذه نبذة مختصرة عن علاقة آل عبدالعظيم بقرية محلة مالك.

وهنا أقول:

بعدما تبين عدم اتصال "الحداديّ" بـ"العبيديّ"، وأن هذا تدليس صريح ومؤكد؛ بقيت أسئلة يفرض الواقع طرحها، وهي:

١– راجع كتاب: (آفة علو الأسانيد): ٧٠.

- هل صدر هذا التدليس عن "الحداديّ" نفسه؟ أم عن تلميذه الوحيد "عبدالله عبدالعظيم"؟
- وهل عاصر "عبدالله عبدالعظيم" "الحداديَّ" وأخذ عنه هذا الكلام مباشرةً؟ أم جاء "عبدالله" من بعده وحمّله هذا الكلام؟. خاصةً وأن المعاصرين للحدادي من قراء آل عبدالعظيم وغيرهم لم ينقلوا عن "الحداديّ" شيئًا!.
- وهل كانت تلك المبالغات في أوصاف "الحداديّ" التي قالها "عبدالله عبدالعظيم" تدليسًا بقصد صرف الأنظار عن حقيقته؟ أم كانت لغرض آخر؟، ولا سيما إذا ما وضعنا هذه الأوصاف إزاء حقيقة أمره وأثره في محلة مالك.
- وهل يُستبعد أن يكون "الحداديّ" قد أخذ عن "التهاميّ" ثم سقط "التهاميّ" و"سلمونة" من إجازة "عبدالله عبدالعظيم" سهوًا أو تدليسًا؟ خاصة وأن المتصفح لإجازة "عبدالله عبدالعظيم" يجدها وكأنها منسوخة من إجازة "التهاميّ" نسخًا.

فانظر في الصورتين السابقتين؛ الصورة التي في جهة اليمين من إجازة الشيخ "أحمد التهامي" لتلميذه الشيخ "عبدالله الكفراوي"، والصورة التي في جهة اليسار من إجازة الشيخ "عبدالله عبدالعظيم" لتلميذه "محمد الشمشيري"، وبعد النظر فيهما قارن بين أسلوبيهما، والصياغة الواردة فيهما؛ فستجد أنّهما متطابقتان في الكلام الوارد فيهما.

حتى الأخطاء التي صدرت في إجازة "التهامي" موجودة بحذافيرها في إجازة "عبدالله عبدالعظيم"، ومن أمثلة ذلك:

١- قول: "محمد الإزبكاوي الشهير نسبه بالجامع الأزهر"، وصوابه: "الشهير بالجامع الأزهر".

٢- قول: "وقت رحلتي إلى المدينة"، وصوابه: "رحلته".

٣- قول: "أحمد المنصوري"، وصوابه: "علي المنصوري".

٤- قول: "علي بن هزيل" (بالزاي)، وصوابه: "هذيل" (بالذال).

فقد وقعت هذه الأخطاء في إجازة "التهامي"، وقد نُقلت كما هي بحذافيرها في إجازة "عبدالله عبدالعظيم". والله المستعان.

من مفاسد طريق "الحداديّ"

ذكرتُ في بداية هذه الرسالة أن العلوّ المتوَهَّم لطريق "الحداديّ" فيه ضرر على طرق الأسانيد القرآنية المستقيمة، ذلك أنه سوف يؤدي إلى طمسها عاجلًا أو آجلًا، ولا سيّما في ظلّ شَرَهِ طلاب الأسانيد العالية ممن لا يفقهون شيئًا في صحّة الطرق من عدمها.

وقد ظهرت تبعات هذه الأضرار في غالب الأسانيد، وليس في الأسانيد المصرية فحسب، وفي الأمثلة التالية توضيح لذلك:

أولًا- ساوى طريق "الحداديّ" بين الشيخ "مصباح" الذي يقرئ الآن في مدينة دسوق، وكلٍّ من:

١- الشيخ "حسن الجريسي الكبير"، المتوفى سنة ١٣١٠هـ، وهو من المتقدمين من تلاميذ "المتولي"، فقد كان يُقرئ قبل سنة ١٢٨٠هـ.

٢- الشيخ "حسن خلف الحسيني"، المتوفى سنة ١٣١٣هـ، وهو أحد تلاميذ "المتولي"، وصدرت عنه إجازة في: ١٢٨٨/١٢/١٨هـ في القراءات العشر.

٣- الشيخ "عبدالرحمن حسين الشعار"، المتوفى بعد سنة ١٣٣٨هـ، وهو أحد تلاميذ "المتولي"، وشيخ الشيخ "الضباع".

٤- الشيخ "عبدالفتاح هنيدي"، المتوفى سنة ١٣٧٠هـ، وهو من المعمَّرين، وأحد تلاميذ "المتولي"، وشيخ الشيخ "الزيات".

٥- الشيخ "يوسف محمد عجور"، المتوفى سنة ١٣٢٤هـ، عن ١٢٤ سنة، وهو أكبر معمَّر قابلني في هذا العصر، وكان شيخ الإقراء بالجامع الأحمدي في عصره.

٦- الشيخ "علي الحلو السمنودي"، المتوفى سنة ١٢٩٥هـ، تلميذ الشيخ "الشهداوي"، وشيخ الشيخ "خليل المطوبسي" الذي هو شيخ الشيخ "محمد سابق الإسكندري".

فهؤلاء الشيوخ ومن كان في درجتهم، يساوي طريقُ "الحداديّ" بينهم والشيخ "مصباح" الذي يُقرئ الآن بمدينة دسوق. فتأملوا يا أولي الألباب.

* * *

ثانيًا- ساوى طريق "الحداديّ" بين تلاميذ الشيخ "مصباح" وبين الآتي ذكرهم:

١- الشيخ "محمد علي خلف الحسيني"، المتوفى سنة ١٣٥٧هـ، تلميذ "حسن الحسيني" المتقدم ذكره، وهذا الشيخ هو أول من وضع علامات الوقف في المصحف، وكان هذا في المصحف الذي كتبه بيده سنة ١٣٣٧هـ، وقد عُيِّن شيخًا للمقارئ المصرية سنة ١٣٢٣هـ.

٢- الشيخ "إبراهيم سعد المكي"، المتوفى سنة ١٣١٦هـ، من تلاميذ "الجريسي الكبير"، وكان يقرئ بالحرم المكي، وبالمدرسة "الصولتية"[١] بمكة. ولذا فغالب أسانيد الهند والباكستان ترجع إلى الشيخ "إبراهيم سعد".

٣- الشيخ "أحمد يوسف محمد عجور"، المتوفى سنة ١٣٤٥هـ، أخذ عن والده المتقدم ذكره، وكان يدرس بالمسجد الأحمدي بطنطا.

٤- الشيخ "خليل عامر المطوبسي"، تلميذ "الحلو السمنودي" المتقدم ذكره، وشيخ "محمد سابق" الآتي.

٥- الشيخ "علي محمد الضباع"، المتوفى سنة ١٣٨٠هـ، شيخ قراء مصر في عصره، وقفتُ له على ٣١ مؤلَّفًا ذكرتها في كتاب (الحلقات المضيئات: ١/١١٣)، وكذلك ذكرت بعض تلاميذه.

١- أنشأ هذه المدرسة الشيخ "رحمة الله الهندي"، صاحب كتاب (إظهار الحق)، على نفقة سيدة هندية تُدعى "صولت النساء بيغم"، وكانت حاجّة إلى بيت الله الحرام سنة ١٢٩٠هـ.

٦- الشيخ "أحمد عبدالعزيز الزيات"، مولده سنة ١٣٢٤هـ، ووفاته سنة ١٤٢٤هـ، فهو عاش ١٠٠ سنة، وشيخه "عبدالفتاح هنيدي" جاوز التسعين، لذلك كان طريقه من أعلى طرق الأسانيد المصرية على استقامةٍ واستحقاقٍ.

فهؤلاء الشيوخ، وجميع من كان في درجتهم، يساوي بينهم طريق "الحداديّ" ومن يذهب الآن إلى دسوق للقراءة على الشيخ "مصباح"، أي في درجة تلاميذه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ويترتب على ذلك الآتي:

١- أن الشيخ "همام قطب الزاهر"، المتوفى ١٣٥٤هـ، تلميذ "محمد الحسيني"، وشيخ الشيخ "عبدالفتاح القاضي"، لا يتساوى إلا بمن يأتي من تلاميذ تلاميذ "مصباح".

وبهذا يكون "القاضي" المتوفى ١٤٠٣هـ في درجة من يأتي من تلاميذ تلاميذ تلاميذ "مصباح"، فما بالنا بتلاميذ "القاضي" ومن كان بعدهم؟!.

٢- أن الشيخ "عبدالله محمد بشير خان"، المتوفى سنة ١٣٣٧هـ، تلميذ "إبراهيم المكي"، وشيخ الشيخ "عبدالرحمن محمد بشير خان"، لا يتساوى إلا بتلاميذ تلاميذ "مصباح".

ويصبح "عبدالرحمن" المتوفى ١٣٤١هـ في درجة تلاميذ تلاميذ تلاميذ "مصباح" الذي يُقرئ الآن بمدينة دسوق!!.

٣- أن الشيخ "محمد سابق الإسكندري"، المتوفى ١٣١٢هـ، تلميذ "خليل المطوبسي"، وشيخ كلٍّ من:

أ- الشيخ "عبدالعزيز علي كحيل"، المتوفى ١٣٢٤هـ.

ب- الشيخ "حسن محمد الكراك"، المتوفى ١٣٤٠هـ.

ج- الشيخ "أحمد حامد التيجي المكي"، المتوفى ١٣٦٨هـ.

يُصبح -أي الشيخ "سابق"- في درجة تلاميذ تلاميذ الشيخ "مصباح"، وهؤلاء الشيوخ الثلاثة في درجة تلاميذ تلاميذ تلاميذه.

ويصبح جميع تلاميذ هؤلاء الثلاثة في درجة تلاميذ تلاميذ تلاميذ تلاميذه.

ولذلك يفترض أن يكون في هذه الدرجة نفسها: الشيخ "محمد عبدالرحمن الخليجي"، والشيخة "نفيسة أبو العلا"، تلميذا الشيخ "عبدالعزيز كحيل"، وشيخا الشيخ "محمد عبدالحميد الإسكندري".

وبهذا يصبح الشيخ "محمد عبدالحميد" في درجة تلاميذ تلاميذ تلاميذ تلاميذ "مصباح".

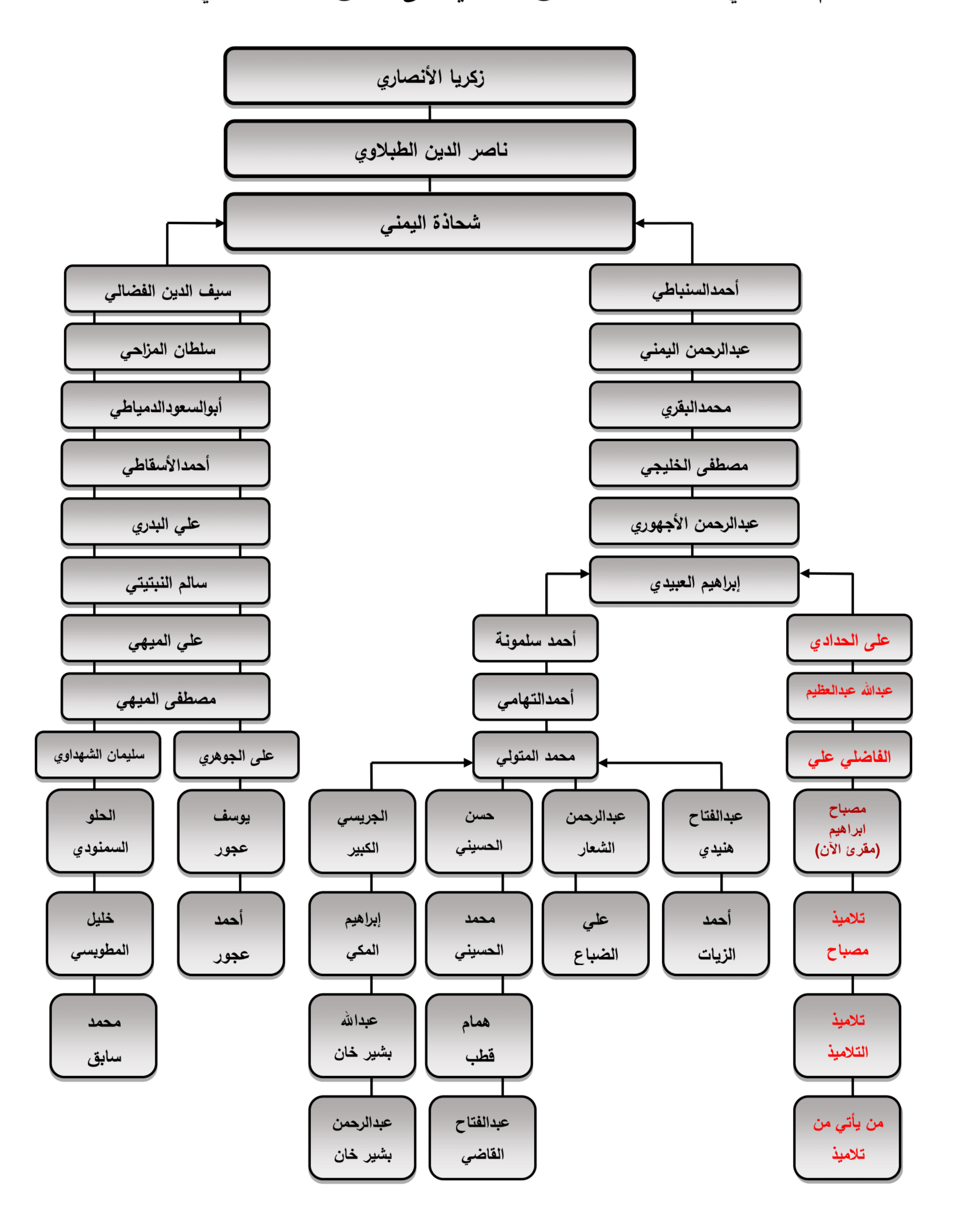
لذا كان الدفاع المستميت عن طريق "الحداديّ"، والتطاول من بعض طلاب الشيخ "محمد عبدالحميد"، والله المستعان.

٤- أن جميع تلاميذ الشيخين: "الضباع" و"الزيات"، متقدمهم ومتأخرهم، صغيرهم وكبيرهم، حيهم وميتهم؛ لا يتساوون إلا مع من سيأتي من تلاميذ تلاميذ الشيخ "مصباح" الذي يتصدر للإقراء الآن في مدينة دسوق!.

فأين العقل يا أهل العقل؟!.

(انظر الرسم التالي توضيحًا لذلك).

- رسم توضيحي لبعض مفاسد طريق الحدادي على الطرق المستقيمة في الأسانيد القرآنية



وأذكُرُ أنه قد وصلت إليّ إحدى الإجازات قديمًا أثناء عملي في كتاب (الحلقات المضيئات)، في القراءات السبع، صادرة عن الجامعة السلفية بنارس بالهند، ومؤرخة في: ١٤١٣/٨/١٤هـ - ١٩٩٣/٢/٧م، إلى طالب اسمه: عبدالخبير بن سعيد أحمد، هندي الجنسية.

والإسناد في هذه الإجازة على هذا النحو:

عبدالخبير، عن حبيب الرحمن محمد إسماعيل، عن صبغة الله بن عناية الله الصديقي، عن محب الدين أحمد، عن ضياء الدين الإله آبادي، عن عبدالرحمن بن محمد بشير خان المكي.

وتقدم أن "عبدالرحمن بشير خان" في درجة تلاميذ تلاميذ تلاميذ "مصباح".

وعلى هذا فيُصبح "عبدالخبير" المجاز في السبع سنة ١٤١٣هـ، أي منذ ٢٧ عامًا، في درجة من يأتي إلى الدنيا من: تلاميذ تلاميذ تلاميذ تلاميذ تلاميذ تلاميذ تلاميذ الشيخ "مصباح" الذي يُقرئ الآن!.

فاقرأ وتعجب!

* * *

الأسانيد المغاربية طالتها المفسدة الحدادية:

لم تنحصر المفسدة الحدادية في أسانيد بلاد المشرق فقط؛ بل أثّرت على أسانيد بلاد المغرب أيضًا، مع أن طرق أسانيد بلاد المغرب لا علاقة لها بأسانيد المشرق، حيث إنها تنتهي إلى "ابن غازي"، ومنه إلى "ابن نفيس"، ومنه إلى الأئمة السبعة، إلى النبي ﷺ.

ولنأخذ قراءة الإمام "نافع" مثالًا، فهي المنتشرة في بلاد المغرب:

فما بين الشيخ "مصباح" والنبي ﷺ ٢٩ رجلًا في رواية "قالون"، و٢٨ رجلًا في رواية "ورش".

وسنأخذ ثلاثة أمثلة من بلاد المغرب على هاتين الروايتين للمقارنة:

المثال الأول:

الشيخ "إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التونسي[١]"، المتوفى في ١٣٤٩هـ.

فبين هذا الشيخ والنبي ﷺ ٣٥ رجلًا في رواية "قالون"، و٣٣ رجلًا في رواية "ورش".

وعلى هذا، فيرتفع الشيخ "مصباح" فوق هذا الشيخ ٦ درجات في رواية "قالون"، و٥ درجات في رواية "ورش"، مع أن الشيخ "إبراهيم" متوفى منذ ٩١ عامًا.

المثال الثاني:

الشيخ "محمد محمود بن أحمد يوره بن الشيخ الرباني الموريتاني".

كان هذا الشيخ إمام الجامع الكبير المعروف بجامع فيصل بنواكشوط. وقد وصلت إليّ إجازته في ١٤١٩/٨/٥هـ أثناء عملي في (الحلقات المضيئات) أيضًا[٢].

ووفقًا لما جاء في إجازة هذا الشيخ فإن بينه وبين النبي ﷺ ٣٨ رجلًا في رواية "قالون"، و٣٦ رجلًا في رواية "ورش".

وعلى هذا، فإن الشيخ "مصباح" يرتفع فوق هذا الشيخ ٩ درجات في رواية "قالون"، و٨ في رواية "ورش".

المثال الثالث:

الشيخ "أبو معاذ محمد بن الشريف السحابي"، أحد أساتذة الإقراء الآن بالمملكة المغربية.

١– له عدد من المؤلفات، منها: (النجوم الطوالع على الدرر اللوامع)، و(تنبيه الخلان)، و(دليل الحيران).

وانظر ترجمته في كتاب (الحلقات المضيئات): ١٧٦/١.

٢– أُرسلت إليّ هذه الإجازة عن طريق الشيخ "عبدالناصر بن علي الحارثي"، مدير المعهد العلمي في مدينة بيشة بالسعودية، وكان آنذاك مدرسًا للعلوم الشرعية بمعهد العلوم الإسلامية والعربية بنواكشوط.

فبين الشيخ "السحابي" والنبي ﷺ ٣٦ رجلًا في رواية "قالون"، و٣٤ في رواية "ورش".

وعلى هذا، فإن الشيخ "مصباح" يرتفع فوق الشيخ "السحابي" ٧ درجات في رواية "قالون"، و٦ درجات في رواية "ورش".

وكلا الشيخين: "مصباح" و"السحابي" يقرئ الآن.

وأكتفي بذلك في تبيان مفسدة طريق "الحداديّ" على الطرق المستقيمة في الأسانيد القرآنية ، والله المستعان.

* * *

من آثار وأضرار طريق "الحداديّ":

تبيّن مما سبق أن هذا الإسناد المفتعل للحدادي قد أضرّ بالأسانيد المستقيمة شرقًا وغربًا، ووجود هذا الإسناد المتوهّم علوّه وتداوله بين الأسانيد تترتب عليه مفاسد عظيمة وأضرار جمة، أذكر منها الآتي:

أولًا– الطعن في خصيصة الإسناد التي اختُصت بها الأمة الإسلامية:

إذ لا يُستبعد أن يؤدي هذا العلو المتوهّم إلى لفت نظر أحد أعداء الإسلام إليه، فيطعن في خصيصة الإسناد بعد اكتشافه تداول المسلمين للأسانيد الواهية غير المستقيمة، ومن ثمّ ينطلق إلى الطعن في بقية الأسانيد الصحيحة.

ولهذا كان حرص المتقدمين على تنقية أسانيدهم أولًا بأول مما يعتورها من تخليط وأخطاء وأوهام، درءًا لتلك المفاسد.

ثانيًا– طمس الأسانيد المستقيمة:

لا شك في أن هذا النّهم والشّره من قِبَل طلاب القرآن الكريم على تلك الأسانيد المتوهّم علوّها، سوف يؤدي إلى طمس الأسانيد المستقيمة بسبب الانصراف عنها.

ومما يؤكد ذلك أن بعض الطرق النازلة الصحيحة بدأت في الانقراض، ومن ذلك طريق الشيخ "محمد سابق الإسكندري".

فالذين تحوّلت أسانيدهم من طريق "محمد سابق" إلى طريق "الحداديّ" ممن يُقرِؤون الآن بأسانيد الإسكندرية، لو أخذوا بطريق "محمد سابق"؛ لنزلوا خمس درجات عن طريق "الحداديّ".

ولذا فإننا لا نرى وجودًا عند غالبهم لطريق "محمد سابق".

ثالثًا– انصراف الطلاب عن القُراء المُجيدين:

ومن أضرار ذلك أيضًا، انصراف طلاب القرآن الكريم عن أصحاب الطرق النازلة وإن كانوا من المتقنين الأثبات، واتجاههم وإسراعهم إلى أصحاب الأسانيد المتوهّم علوّها، ولا سيّما أصحاب طريق "الحداديّ"، وإن كانوا من الضعفاء غير المتقنين، وهو ما سيكون له أثره السيّئ على (أداء) أصحاب هذا الطريق فيما بعد.

رابعًا– انتشار التدليس بين القراء والمقرئين:

إنّ انتشار هذا الطريق بين القراء والمقرئين، وتداوله بينهم، بعد تِبيان عواره وعدم صحته؛ يؤدي إلى انتشار الكذب والتدليس في الأسانيد القرآنية.

وأُذكِّر هنا بما قاله الإمام "أبو العلاء الهمذاني" المتوفى ٥٦٩هـ، في قريبٍ من هذه الواقعة، حيث قال: "ومن رواها من هذه الجهة بعد تنبيهنا على بطلانها، فقد ضارع واضعها، وشارك مفتعلها؛ لقوله ﷺ: (من روى عني حديثًا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين)"[1].

١– (غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار): ١٥٣/١.

خامسًا– فتح باب الكسب الحرام على القراء:

لا يخفى على أحدٍ أن هذا الطريق أصبح سلعةً رابحةً تُدرّ الدخل الوفير على كثيرٍ من أتباعه، وكلٌّ متربحٍ يستميت في الدفاع عن مصدر ربحه بالحق والباطل، وهو ما نعرفه ونعلمه عن كثيرٍ من أصحاب هذا الطريق، نسأل الله العافية والسلامة.

فالأمر –في غالبه– إما أن يكون سلعةً بين تاجرٍ ومشترٍ، كلٌّ حسب عُمْلَته، وهذه تجارة فاسدة. أو طلبًا للشهرة والتفاخر بين الأقران والتلاميذ. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

سادسًا– التضليل في التحمل والأداء:

الإقبال الشديد على مُقرِئِي هذا الطريق يجعلهم يكتفون ببعض القرآن، ولا يذكرون ذلك في إجازاتهم، ثم يأتي هذا الطالب ويجيز بذلك في تمام القرآن.

ويُعد هذا تدليسًا من الشيخ وتلميذه، وفوق ذلك أنه في طريق فاسد أصلًا، فهو تدليس فوق تدليس.

سابعًا– دَفْعُ بعض الشيوخ إلى التدليس:

انصراف الطلاب إلى أصحاب هذا الطريق المتوهّم علوّه، ربما يكون سببًا في دفع بعض أصحاب الطرق النازلة إلى التدليس بافتعال أسانيد عالية لاجتذاب الطلاب.

وقد وقع في ذلك بعض المعاصرين، والله المستعان[1].

فهذه بعض المفاسد التي يؤدي إليها طريق "الحداديّ"، ونحمد الله تعالى أن شاء بقدرته كشف حقيقة هذا الإسناد المكذوب بين الأسانيد الصحيحة لكتابه المجيد.

* * *

١– راجع في ذلك كتاب: (فتنة الأسانيد والإجازات القرآنية): ٨٩. وكتاب: (رد الحجج الباطلة والمضللة): ١٠٠.

وهنا أنبه إخواني إلى خطورة التدليس في الأسانيد القرآنية، فهو مرض عضال وقع فيه بعض الكبار من أئمة الإقراء، من المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين، والدافع إليه بلاء شهوة العلوّ في السند.

قال ابن دقيق العيد: "وأكثر مقصود المتأخرين في التدليس طلب العلو، أو إيهام كثرة الشيوخ"[١].

والمتأخرون بالنسبة لابن دقيق هم مَن كانوا قبل سنة ٧٠٠هـ، حيث إن وفاته سنة ٧٠٢هـ.

وقد ذكرتُ فيما سبق من مؤلفات بعض الأمثلة لمن وقع في التدليس من شيوخ الإقراء، وكان من ذلك:

١- "أبو علي الأهوازي" (ت: ٤٤٦هـ)، قال فيه "الخطيب البغدادي": "أبو علي الأهوازي كذّاب في القراءات والحديث جميعًا".

وقد علّق "الذهبي" على هذا قائلًا: "يريد تركيب الإسناد، وادعاء اللقاء، أما وضع حروف أو متون فحاشا وكلا، ما أُجوّز ذلك عليه، وهو بحر في القراءات، تلقى المقرؤون تواليفه ونقله للفن بالقبول".

وقال فيه ابن عساكر: "لا يستبعدنّ جاهل كذب الأهوازي فيما أورده من تلك الحكايات، فقد كان أكذب الناس فيما يدعي من الروايات في القراءات".

٢- "عيسى الشريشي" (ت: ٦٢٩هـ)، قال فيه ابن الحاجب: " كان ابن عيسى لو رأى ما رأى قال: هذا سماعي، أو: لي من هذا الشيخ إجازة".

وقال "ابن مسدي": "ختمت عليه بالسبع من طريق التجريد، ومع هذا ففي أسانيده تخليط كثير، والشره يسد باب الصواب".

١- (الاقتراح في بيان الاصطلاح): ٢٠.

وقال فيه "الذهبي": "هذا رجل قليل الحياء، مكابر للحس".

٣- "عبدالله بن محمد السبعة"، قال "ابن الجزري" في تدليسه: "وهذا إسناد مفتعل، ركّبه عبدالله المذكور؛ لقلة حياء منه، وعدم معرفة".

إلى أن قال: "ولكن سنة الله تعالى في كل كذاب أن يفضحه الله تعالى بما منه سبب فضيحته؛ صيانة لكتابه وسنته".

إلى أن قال: "وأنا قصدت التنبيه على ذلك، لأنه قد اشتهر هذا الإسناد في بلاد العجم، فأردت أن يعلم ذلك، نصيحة لكتاب الله تعالى، وللمسلمين".

وهنا أقول:

من خلال تتبعي للتدليس والمدلسين في أسانيد القرآن الكريم، أرى أن هذا العصر هو أكثر العصور تدليسًا.

فاربؤوا -يا أهل القرآن- بأنفسكم عن الوقوع في ذلك، حتى لا تندرج أسماؤكم في سجلات المدلسين بين الغابرين.

اللهم إني بلغت وأنت خير الشاهدين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

السيد أحمد عبدالرحيم

القاهرة في: ١٤٤٠/٥/٢٧هـ - ٢٠١٩/٢/٢م